

الحملاط فف عصر النبوة

إعداد

د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الحملاّت في عصر النبوة
بحث مقدم :
لمؤتمر مكة المكرمة السابع
الذي تعقده رابطة العالم الإسلامي

تحت عنوان :
(نصرة نبي الأمة صلى الله عليه وسلم)

إعداد :

د/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

إمام وخطيب المسجد الحرام

وعضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا الشرعية

في جامعة أم القرى

١٤٢٧هـ

المقدمة

الحمد لله المتفرد بعظمته وكبريائه، القاهر بجبروته وعلائه، - سبحانه - انتصر كيف شاء ومتى شاء لأنبيائه، وانتقم من أعدائهم وأعدائه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، توعد من استهزأ بنبيه بمحق أثره وفنائه، وأشهد أن نبينا محمداً خيراً من بلغ شرع ربه وصبر على أعبائه، فلا زال - بحمد الله - مشتتاً في ظهوره وعلائه، صلى الله وسلم وبائك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، المستعلين بنصرته وولائه، وعلى صحابته الميامين، حواريه في الخطوب ووزرائه، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد كانت ولا تزال أمتنا الإسلامية المباركة، غرضاً لنصال الأعداء، ونهبةً لافتراءاتهم وأكاذيبهم، يروجون الدسائس والأباطيل، ويحكون لها المكائد والأضاليل، وهم في ذلك دائبون ناصبون، لا يباليون بهتك الحرمات والمقدسات، ولا بنقض القوانين والمعاهدات، لا تلين لهم قناة، ولا تهني لهم صفاة؛ تقويضاً لصرح الإسلام - بزعمهم تارة بالنيل من كتابه، وأخرى بالتطاول على جناب رسوله صلى الله عليه وسلم وهلم جرأً - ولكن [ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو ذل ذليل] وقد قيص الحق - سبحانه - لنصرة هذا الدين وإعلائه وإعرازه : دولاً ومجتمعات، ورجالات وجماعات، وجمعيات وهيئات، ومراكز ومؤسسات، ومن تلك المؤسسات الفياضة بالعطاء والإنماء، التي لا تفتأ تنافح عن الإسلام، وما يتعرض له من تعديات وهجمات، وتسعى جاهدةً لخدمة قضايا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، عبر جهودها العالمية الدعوية والعلمية والإغاثية : رابطة العالم الإسلامي القعساء، سواء أكان ذلك بعقد المؤتمرات والندوات، أم بنشر الكتب والمطبوعات، أم بإعداد الأئمة والخطباء

والدعاة، وغير ذلك من مساعي الخير والإصلاح : لنشر دين الهدى والخير والفلاح، وفي الجملة، فإن جهود رابطة العالم الإسلامي المباركة، لا يستقل بحصرها والثناء عليها، يراع أو قرطاس.

وما توفيقها إلا بالله عز وجل، ثم بتوجيهات ودعم ولاية أمرنا - وفقهم الله - جعل الله ذلك في صحائف حسناتهم، ورفعاً لدرجاتهم، وبالإدارة الحكيمة الملهمة، لأمينها العام صاحب المعالي، فضيلة شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، أسعده الله بتقواه، وبلّغه من الثواب والأجر ما رجاه.

وإذ أزجي لهم صادق التقدير والثناء، بالتوفيق المطرد، والتسديد الأسد، لأتقدم لرابطة العالم الإسلامي وممثليها، بالشكر الأعم، والعرفان الأتم، على حسن ظنهم بأخيهم، ودعوتهم للمشاركة في هذا المؤتمر المبارك، مؤتمر نصره الرسول صلى الله عليه وسلم، على الذين استهزؤوا - لا كانوا - بجنابه الشريف، على سمع العالم ومرآه، دون أن يرتد له طرف، أو ينبس بحرف !! سائلاً العليّ القدير عز وجل أن يبارك هذه الجهود والمساعي، في نصره نبي الأمة صلى الله عليه وسلم خير رسول وأشرف داعي.

وانطلاقاً من واجب النصره وذبيك المصاب الجلل، الذي أهملت له المقل، بجهد المقل بهذا البحث المتواضع الذي ألقى الضوء على الحملات في عصر النبوة، وانتظم في الخطة التالية :

خطة البحث :

وتضمنت - بعد المقدمة - تمهيداً وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة :

(أ) وتضمنت إزجاء الشكر للرابطة والثناء على جهودها العالمية : العلمية والدعوية والإغاثية.

(ب) أهمية الموضوع، وحاجة الأمة الإسلامية إليه.

(ج) خطة البحث ومنهجه.

التمهيد :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

المبحث الأول : في بعثته ودلائل نبوته وبشارات الأنبياء برسالته صلى الله عليه وسلم ، ويشمل مطلبين :

المطلب الأول : في بعثته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : بشارات الأنبياء وإنباءهم برسالته صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : في شرفه وفضله ورفعة منزلته وعظيم قدره صلى الله عليه وسلم ، ويشمل ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : في شرفه صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : في فضله صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : في رفعة منزلته وعظيم قدره صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : في وجوب تعظيمه وتقديره ، وتعزيزه وتوقيره صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول : في تعريف الحملات وبيئاتها، ونيلها من الأنبياء -عليهم

السلام- ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الحملات : لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : الحملات ضد الأنبياء -عليهم السلام- وما نالهم من ابتلاءاتها وشدائدها.

المبحث الثالث : الحملات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في عصر النبوة، ويشمل ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حملات كفار قريش على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ويشمل ثلاثة عناصر :

العنصر الأول : حملات رشق النبي صلى الله عليه وسلم بباطل الاتهامات، وتكذيب القرآن الكريم لذلك.

العنصر الثاني : حملات الإيذاء والجفاء، تستمر ولا تقر.

العنصر الثالث : قريش والحملات الباردة، وتشمل :

أ - التعجيز.

ب - المفاوضة.

ج - المساومة.

د - الترغيب.

هـ - المقاطعة والإبعاد، من حملات الكيد والعناد.

المطلب الثاني : حملات المنافقين على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويشمل ثلاثة عناصر :

العنصر الأول : غزوة الأحزاب وسورتها الكريمة يفضحان المنافقين.

العنصر الثاني : غزوة تبوك تفضح ضغائن المنافقين.

العنصر الثالث : المنافقون ومسجد الضُّرار.

المطلب الثالث : حملات اليهود ، ويشمل خمسة عناصر :

العنصر الأول : من افتراء اليهود وكذبهم.

العنصر الثاني : يهود بني قينقاع واستخفافهم بالوعيد النبوي.

العنصر الثالث : يهو بني النضير ، وتآمرهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم .

العنصر الرابع : من حملات اليهود وغدرهم : الشاة المسمومة.
العنصر الخامس : من رؤوس اليهود الذين تولوا أكبر حملات الشتم والسب.

الفصل الثاني : نصررة رب العالمين -سبحانه- لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على الحاملين الشائنين، ويشمل مبحثين :

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم على نصررة رب العالمين لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة المباركة على نصررة رب العالمين لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على الحاملين الشائنين.

الفصل الثالث : الحُكم من الكتاب والسنة فيمن آذى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم : استهزاءً أو شتماً أو سباً ، ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحُكم وأدلته من الكتاب والسنة، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دليل الحُكم من الكتاب .

المطلب الثاني : دليل الحُكم من السنة.

المطلب الثالث : دليل الحُكم من الإجماع.

المبحث الثاني : أقوال الفقهاء والنقول عنهم في هذه القضية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : مذهب الحنفية.

المطلب الثاني : مذهب المالكية.

المطلب الثالث : مذهب الشافعية.

المطلب الرابع : مذهب الحنابلة.

المطلب الخامس : الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : ما أشبه الليلة بالبارحة، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شهادات الأعداء تنتصف لمقام سيد الأنبياء.

المطلب الثاني : (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) (النور: من الآية ١١).

المطلب الثالث : في وجوب نصرته والذود عن جنابه صلى الله عليه وسلم وسبل ذلك.

الخاتمة : وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

أهمية الموضوع ، وحاجة الأمة الإسلامية :

نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله وخاتم أنبيائه، وصفوة أرساله وأمنائه، شرف الله قدره على سائر الخلائق، وأخذ من الأنبياء -على نصرته- أوثق العهود والمواثق، طهره الله وزكاه، وبلغه من الشرف الزكي منتهاه، بما لا مطمع لأحد فيه سواه.

ولما تناول على مقامه الرفيع -فداه أبي وأمي- وشرفه المنيع، شردمة رذلة -بفيها عفر البرى- من الدانمارك، وكانت هبة المسلمين الغاضبة ضد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، بما أقرّ العيون، كانت هذه المشاركة في النصر؛ لتجلي للعالم مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلقه العظيم، وصبره على ما لاقاه من أثقال الدعوة، وتربية الأمة على محبته والافتداء به، وبيان حكم من تنقصه أو شتمه، خصوصاً في أوان تصعدت فيه التحديات والمؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، فاستمرت، وما زالت، واستحرت وما دالت، وتمكين تلخيص أهمية الموضوع في العناصر الآتية :

١— شرف العلم بشرف المعلوم، وشرف البحث بشرف المبحوث، وبجثنا عن الشخصية الفذة التي تتضاءل أمامها كل الشخصيات البشرية، ولهذا كان ذلك من أهم أسباب أهمية الموضوع.

٢— مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وفضله وما تبوأه من المنزلة العظيمة.

٣— وجوب محبته وتعظيمه ، واتباع سنته ولزوم طاعته، وضرورة الاقتداء به (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: من الآية ٢١).

٤— ما تعرض له عليه الصلاة والسلام من حملات متتابة في عهد النبوة مما له الأثر البالغ في صبه على الدعوة ، وتبليغ الرسالة.

٥— ما أوجبه الله على أتباعه من وجوب نصرته والدفاع عنه، وأنه من لوازم الإيمان به.

٦— ما أشبه الليلة بالبارحة، فها هي الحملات تعيد نفسها، وها هم الأعداء يقومون بالدور نفسه، بل بأشد ضراوة وأنكى خطورة باستغلال لوسائل العصر وتقاناته في أخطر حرب عدائية ضد الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام.

٧— ما تمخضت عنه الرسوم الكاريكاتورية الدائماكية من هجمة شرسة وواجب الأمة المسلمة حيالها.

٨— ضرورة تحديد موقف النصره الحق، وبيان ضوابطه ووسائله المشروعة.

٩— ما أخذه الله على أهل العلم والدعوة من البيان، وعدم الكتمان.

١٠— مسؤولية المؤسسات الدعوية والجهات العلمية والأمة كافة تجاه هذا الحدث المؤسف.

تلك أهم العناصر التي تجلّي أهمية الموضوع، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

التمهيد :

المبحث الأول : في بعثته ودلائل نبوته وبشارات الأنبياء برسالته صلى الله عليه وسلم :

المطلب الأول : في بعثته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم :

حقبة تاريخية عجفاء ، يسودها ظلام دامس بالشرك والوثنية، في صور مختلفة من الأضاليل، ومظاهر متعددة من الأباطيل، حقبة تاريخية عمّت فيها الجهالة والسخافة، وتغلبت قوى الشر والبغي والاعتساف ، على أهل الحق والخير والإنصاف ، وتردّت العلاقات الاجتماعية ، والأحوال الأخلاقية إلى دُجَنَات التّبار والفناء، ولم تكن الأحوال السياسية في منأى عن التمزق والشتات، نتيجة الحروب والغارات.

وقد عدد القرآن الكريم كثيراً من تلك الطوام والرذائل، مبكّثاً المتعلقين بها، عائباً عليهم اعتقادهم السخيفة ، ناعياً عليهم سفاهة أحلامهم، وتبلد إحساسهم، وركاكة عقولهم (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) (النور: من الآية ٤٠).

في ذلك الزمن الذي تلاطمت فيه المعتقدات والسلوك، واستبدت فيه الأوهام، وانحرفت الأحلام، أشرق فجر البعثة المحمدية، والرسالة الإسلامية، والدعوة السمحة الحنيفية (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (الصف: ٩) ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة، وليحرر العقول من أوهاق الشرك، وأصفاد المفاسد والآثام ، إلى رحاب التوحيد الخالص، وحسن ثواب الآخرة، يقول الباري عز وجل : (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة ١٥ - ١٦) ، ويقول سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

بَأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (الأحزاب: ٤٥ - ٤٨) .

وبهذا النور الأبلج البادي، والشرع الرباني الهادي، جدد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ملة التوحيد الدارسة، ملة أبينا إبراهيم، وإخوانه الأنبياء -عليهم السلام- من بعده ، قال تعالى : (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (الحج: من الآية ٧٨) وفي كون الأنبياء والرسول بعثوا بعقيدة التوحيد الخالص، يقول عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الانبياء: ٢٥) ويقول سبحانه : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: من الآية ١٣) وإن اختلفت شرائعهم في الفروع، قال تعالى : (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: من الآية ٤٨) . ويقول صلى الله عليه وسلم : [نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد]^١ .

نعم! وهذه البعثة المحمدية -على صاحبها صلوات ربي تترى بكرة وعشياً- أحالت الضلال هدى، والهمجية مدنية، واليأس أملاً، والجهل علماً ونوراً ومعرفة، ونقلت الإنسانية قاطبة، إلى أفياء السلام والعدل والإخاء والرخاء، والعمران والاطمئنان، قال سبحانه : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) (النحل: من الآية ٩٧) .

و شاء الله عز وجل -على حين فترة من الرسل- بوسع رحمته، وعظيم منته، أن يرسل للناس من عند أنفسهم، نبي التوحيد والإسلام، وخاتم الرسل، وصفوة الأنام، نبي الرحمة والملحمة، نبينا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العدناني، قال تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

^١ أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٩) .

بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨) وقال -جل اسمه- ممتناً على العالمين ببعثة النعمة المهداة، والرحمة المسداة: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء: ١٠٧).

المطلب الثاني: بشارات الأنبياء -عليهم السلام- وإنبأاتهم برسالته صلى الله عليه وسلم:

لم تكن بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا البشارات بإرساله وظهوره، في انبئات عن الرسالات السابقة، كلاً! بل قد بشر به موسى وعيسى -عليهما السلام- في التوراة والإنجيل على ما اعتراهما من التبديل والتغيير والتحريف لا سيما فيما له وشيخة بأوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم واسمه، ورسالته، وأوان إرساله ومكانه، وما تناقله الرهبان والأخبار، من روايات صحيحة وأخبار، ولكن يغنيا في هذا السبيل ما ورد في القرآن الكريم من التبيكيت للمنكرين، والفضح الصريح للجاحدين المتعامين، قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٤٦) وفي آية أخرى يقرر القرآن العزيز يقين الطائفتين: اليهود والنصارى، بمعرفة نעות الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأعراف: من الآية ١٥٧)، ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم في البشارة به، والإنباء عن مبعثه، يقول صلى الله عليه وسلم حينما سأله أحد الصحابة الكرام: ما كان بدء أمرك؟ فقال: [أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى ابن مريم]^٢ وذلك ما تناوله القرآن الكريم في قول الحق -سبحانه- حكاية لدعاء إبراهيم -عليه السلام-: (رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا

² "البداية والنهاية" (٣٠٦/٢).

مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ) (البقرة: ١٢٩) ، وفي قوله -عز اسمه- : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)
(الصف: ٦) .

تلك أنارة من أدلة البشارات بنبوة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم ، لم
نشأ الاستقصاء فيها ، خشية الخروج عن دعائم البحث ، وبالله التوفيق .
المبحث الثاني : في شرفه وفضله ورفعة منزلته وعظيم قدره صلى الله عليه
وسلم .

المطلب الأول : في شرفه صلى الله عليه وسلم :

شرف الأصل وسموه، من جبالّات النفس الإنسانية التي تسعى إلى تحصيله،
وتقفو إلى تكميله، ولحكم، جرت سنة الباري -سبحانه- أن لا يرسل أنبياءه إلا
وقد جمّلهم في أقوامهم بالشرف والنسب، وزيّنهم بزكيّ الأصل والحسب،
الذي لا تُرتّقه كُدرة الغمز، ولا تشوبه وصمة الهمز، وهكذا -بل أجل- كان
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الشرف السني في ذراه، ومن المحتد الكريم في
منتهاه، أزكى البرية صلى الله عليه وسلم أصلاً وفرعاً، وأنبها أرومة ونبعاً،
اصطفاه الله عز وجل من أشرف العرب بدواً وحضراً، وأفضلهم بيتاً وأعزهم
نفرأ، ففي صحيح مسلم من حديث واثلة ابن الأسقع أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : [إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً،
واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم]^٣ .

وقال صلى الله عليه وسلم : [جعلني في خريهم بيتاً وخيرهم نفساً]^٤ ، والمراد
بالاصطفاء : تحيّر الفروع الزكية، من الأصول الكريمة السامية، التي غنيت

^٣ أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٢) .
^٤ أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٨) .

بالفضائل والمكارم والمحامد، (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) (القصاص: من الآية ٦٨).

المطلب الثاني : في فضله صلى الله عليه وسلم :

أمَّا فضله صلى الله عليه وسلم ، فهو جَمُّ عديد، وثرَّارٌ مزيد، هدى الله به البرية، وأرسله رؤوفاً رحيماً بأقوم شرعةٍ سنية، ما من خير ورشاد، إلا دلَّ عليه وأخبر، وما من شر وفساد إلا نهى عنه وحذَّر، رقى بأمته في الفضائل والمكارم والمعارف إلى أسمى درج، بعد أن اندرس معلّمها ونهج، ولم يجعل عليها في الدين من حرج، ما من مسلم وإنسان، إلا وله عليه فضل وإحسان.

قال تعالى : (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء: من الآية ١١٣)، وفي الإجمال : فإن فضله صلى الله عليه وسلم على الخليقة سابعُ عام، ودون إحصائه تنفد الكلمات، ولا تلجم الأقلام.

يا راغباً في حصر فضل محمد
خفض عليك فضله لا يحصر
إن قلت مثل الرمل أو مثل الحصى
أو مثل قطر الغيث قلنا : أكثر
صلى عليه الله ما هب الصبا
من نحو روضته الخطيرة يخطر

المطلب الثالث : في رفعة منزلته وعظيم قدره صلى الله عليه وسلم :

اعلم ، وفقنا الله وإياك - وأتحفك باتباع سنن المصطفى وحباك - أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، أفضل البشر على الإطلاق، ولعظيم قدره بين الرسل والأنام، أدلة ظاهرة البيان والإشراق، وأن الباري -جلت حكمته- أعلى قدره بخصائص وفضائل، ومنح وشمائل؛ تشريفاً له في الدنيا وفي الآخرة وتعظيماً، وتنويهاً بسامق مكانه وتكريماً، فمن ذلك، أن آتاه الله القرآن العظيم المعجزة الخالدة على كر الأعصار، الأنشر في الآفاق والأقطار، وأرسل صلى الله عليه وسلم رحمة إلى الخلق كافة، وأُيد بالملائكة الحافة، وأثنى عليه الله في كتابه، وفضله على خاصته وأحبابه، قال تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا

عَنْكَ وَزَرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (الشرح: ١ - ٤) قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وقال سبحانه : (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: من الآية ٨٠). وقال -عز اسمه- : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الحجر: ٧٢) . قال أبو الجوزاء : ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أكرم البرية عنده^٦ .

وفي قوله -تعالى اسمه- : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) (لنجم: ١ - ٢) لا يخفى ما في هذه السورة من أولها إلى آخرها من عظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما شاهده مما لم يتفق ذلك لغيره من الأنبياء، ومشاهدته من عجائب الملكوت، ما لا تحيط به العبارات، وتقدمه على الملائكة وسائر الخلق، وما حصل له من الخصائص^٧ . والقرآن الكريم حافل بالآيات الدالة على عُلُوِّ قدره وعظيم منزلته، فسبحان من شرفه وعظّمه، واجتباه وكرّمه! قال صلى الله عليه وسلم : [أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر]^٨ . كيف وقد غمر الأرض بركات دعوته طويلاً وعرضاً، وتمنن الله عليه بقول : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ) (الضحى: ٥) .

قال الإمام السبكي : "هذا، مع الخصال التي لا مطمع لبشر في شيء منها، من فضيلة النبوة والرسالة، والمحبة والخلة، والإسراء والرؤية، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود والمغفرة لما تقدم وما تأخر، والبعث إلى

^٥ أخرجه الطبري في تفسيره (جامع البيان) (٤٩٤/٢٤) .

^٦ ينظر : (جامع البيان) (٩١/١٤ ، ٩٢) ، و(دلائل النبوة) لأبي نعيم (٢٦ ، ٢٧) ، و(دلائل النبوة) للبيهقي (٤٨٨/٥) .

^٧ ينظر : تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" (٨٨/١٧) ، و"البحر المحيط" لأبي حيان (١٥٧/٨) .

^٨ أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨) .

الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء ونبع الماء، إلى غير ذلك من صفات الكمال التي لا يحيط بها إلا الله تعالى الذي آتاه إياها وفضّله بها ، لا إله غيره^٩ .

المبحث الثالث : في وجوب تعظيمه وتقديره ، وتعزيره وتوقيره صلى الله عليه وسلم :

أخي القارئ الكريم، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي حلاه المولى بأكمل المناقب وأعظم الأخلاق، واصطفاه من أزكى الأنساب والأعراق، وأيده بالمعجزات والكرامات، أوجب سبحانه على أمته : خاصتهم وعامتهم، تعظيمه وتقديره، وفرض نصرته وتوقيره، جمع ذلك في قوله سبحانه : (لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) (الفتح: من الآية ٩) : بطاعته في جميع ما أتى به وأمر، والانتهاز عن كل ما نهى عنه وزجر، والتخلق بأخلاقه الشريفة، والتسنن بسنته المنيفة، ومحبة ونصرته، والذب عن جنابه الشريف وملته، وكذا مع آل بيته الأطهار، وصحابته البررة الأخيار. هذا، وقد قضى الحق سبحانه : ألا فلاح لأمته ولا صلاح، إلا من سبيل إتياعه وتوقيره، وإجلاله وتكريمه، قال تعالى : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: من الآية ١٥٧) وللذين يتأدبون في مجلسه، ويغضون من أصواتهم عند محادثته، لهم مغفرة وأجر عظيم، يقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات: ٣) ومن غرر التوقير والتقدير، لجناب النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الصحابة الكرام -الذين فدّوه بنفوسهم- حيث ضربوا أرواع الأمثلة في ذلك، كانوا إذا جلسوا بين يديه صلى الله عليه وسلم، كأن الطير على رؤوسهم؛ إكراماً له صلى الله عليه وسلم وإعظاماً^{١٠} . وكان من أدب الإمام مالك -رحمه الله- ألا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

^٩ ينظر : "السيف المسلول" (٣٢٩-٣٣٠) ، و"الشفاء" (١/١٧٦).
^{١٠} أخرجه البخاري برقم (٢٦٨٧).

إلا وهو على وضوء، وطيب في المجلس¹¹؛ إجلالاً للنبي الهادي صلى الله عليه وسلم.

¹¹ ينظر : "الشفاء" (٤٢/٢-٤٣).

الفصل الأول : في تعريف الحملات وبيائها، ونيلها من الأنبياء -عليهم السلام-:

المبحث الأول : تعريف الحملات : لغةً واصطلاحاً :

الحملات لغة : جمع حملة : أورد ابن منظور في "اللسان" : "وحمل عليه في الحرب حملة، وحمل عليه حملة منكرة، وشدةً منكرة، ويقال : حمل فلان الحقد على نفسه : إذا أكنه في نفسه واضطغنه"¹².

ومراده : هجم على عدوه بقوة وبأس، في اضطغانٍ وحقد.

وفي "المعجم الوسيط" : "وحمل على فلان : جار ولم يعدل"¹³.

واصطلاحاً : النيل من البرآء، بالمكر والافتراء، في حقد واضطغان، وكيدٍ وبهتان.

المبحث الثاني : الحملات ضد الأنبياء -عليهم السلام- وما نالهم من ابتلاءاتها وشدائدها.

أخبر القرآن الكريم ، أن رُسُلَ رب العالمين، قد نالهم من أذى أقوالهم واستهزائهم، ما لم يكن بدعاً في قوم سيد الأولين والآخرين. وما ذلك القصُّ إلا تسرية عن النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، يقول تعالى : (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مَنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) (الرعد: ٣٢ - ٣٤) .

¹² ينظر : "لسان العرب" مادة (حمل).

¹³ ينظر : "المعجم الوسيط" مادة (حمل).

ودونك أخي المسلم، أخي الداعي أحوال أنبياء الله مع أقوامهم، الذين استهزؤوا بهم، فحق فيهم وعيد الله، فشالت نعماتهم، وقامت في دنياهم قيامتهم:

نبي الله نوح -عليه السلام- :

يخبر تعالى عن ما دار بين نبي الله نوح -عليه السلام- وقومه، واستهزائهم به فيقول سبحانه : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) (هود: ٣٨) ثم يذكر سبحانه وتعالى ما حل بهم من العذاب نتيجة عنادهم وتكذيبهم، فيقول تعالى : (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) (لأعراف: ٦٤) .

نبي الله هود -عليه السلام- :

يخبر تعالى عن قوم هود -عليه السلام- أنهم قالوا لنبئهم : (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ) (هود: ٥٣ - ٥٥) .

ويخبر تعالى عن عابثهم في سورة هود فيقول -عز من قائل سبحانه- : (وَكَلَّمَآ جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) (هود: ٥٨ - ٦٠) .

نبي الله صالح -عليه السلام- :

ويذكر تعالى ما دار بين صالح عليه السلام وبين قومه وما كان من الجهل والعناد في قولهم : (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) (هود: ٦٢) .

ثم يذكر -سبحانه- وتعالى ما حل بهم من العذاب والنكال؛ لقاء تكذيبهم ومكرهم : (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (النمل: ٥١ - ٥٣) .

نبي الله لوط -عليه السلام- :

وهذه قصة لوط -عليه السلام- مع قومه الذين هموا بإخراجه، يقول تعالى فيهم : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (النمل: ٥٦) فماذا كانت عاقبتهم إلا العذاب الأليم، قال الله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ) (النمل: ٥٧ - ٥٨) .

نبي الله شعيب -عليه السلام- :

ثم يذكر الله تعالى ما جرى من استهزاء قوم شعيب بنبيهم -عليه السلام- فيقول -عز وجل- على لسانهم : (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود: ٨٧) .

وقد كانت عاقبتهم : الدمار، والإيلاق، والإهلاك والإحراق، كسالفهم من المستهزئين بأنبياء الله ورسله، قال الله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ) (هود: ٩٤ - ٩٥) .

نبي الله عيسى -عليه السلام- :

يقول تعالى مخبراً عن حال نبيه عيسى -عليه السلام- مع قومه ، وما بهم من المكر عندما يئس منهم : (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا

آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (آل عمران: ٥٢ - ٥٤) .

المبحث الثالث : الحملات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في عصر
النبوة.

المطلب الأول : حملات كفار قريش على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:
مكث الرسول صلى الله عليه وسلم زهاء أربع سنوات بين مسيرتي قريش،
مستسراً بدعوته، مستخفياً برسالته؛ كي يشتد عودها، ويستشري نفوذها، في
سكينة واتقاد، يهيئ القلوب والأسماع، لتقبل دعوة الحق، والجهاد في سبيلها،
والصبر على الأذى فيها، أمام العدو المستغلظ بوثنيته، المستعز بجاهليته.

لما كان الاستهزاء والسخرية والتهكم، نصلٌ سخيْفٌ من نصال القراع،
وصارمٌ قد لا يفل للنيل من كرامة الخصم، وتلم إباطه، وخذش عزته، وهو في
شرعه النزال والقراع، وسيلة دنيئة لا يلوذ بها إلا المهازِيلُ التُّكَلَّةُ، والرعاديِدُ
الوُكَلَّةُ، عَمَدَ كفار قريش، وصناديدها - بعد أن باؤوا بالفشل أمام دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم الكاسحة - إلى الاستهزاء بالرسول الكريم صلى الله عليه
وسلم ، والتنقص من جنابه، وفَرِي عرضه الشريف - بأبي هو وأمِّي صلى الله
عليه وسلم - بأصناف الأكاذيب والأباطيل، والفِرَى والأساطير.

وممن تولَّى كِبْرَ حملة الاستهزاء النكراء، كبار الملاء من قريش ومنهم أبو جهل،
ومن استهزائه : أنه يسير خلف الرسول صلى الله عليه وسلم ، يخلج بأنفه وفمه،
سخرية منه وإضحاكاً للناس. ولما اطلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك ، قال له : كن كذلك؛ فكان فصار يخلج إلى أن مات.

ومن عظام جرائمه اللفظية حيال نبينا وحبينا صلى الله عليه وسلم ، أنه مرَّ
به وهو جالس بالحجون، وقيل عند الصفا، فتناول أبو جهل على الرسول صلى
الله عليه وسلم ، وشتمه ، وصب التراب على رأسه الشريف، ووطئ عاتقه

برجليه، فتعالى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليه سفاهته وهجره.
وكان ذلك بمشهد مولاة لعمته صفية بنت عبد المطلب.^{١٤}

ومن تهكمه، قوله لقريش : يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، يزعم أنها شجرة في النار، والنار تأكل الشجر، إنما زقوم التمر والزبدة، هاتوا تمراً وزبداً وتزقموا،
فأنزل الله في ذلك : (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْإِثْمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ) (الدخان: ٤٣ - ٤٦).^{١٥}

ومنهم أمية بن خلف : كان شرُّ من آذى الرسول صلى الله عليه وسلم
وكذبه.

كان إذا رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم غمزه ولمزه وبالغ في آذاه وشتمه،
وفيه نزلت سورة "الهمزة"^{١٦}. جاء بعظم فخذ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
ففتته في يده وقال : يا محمد تزعم أن ربك يُحي العظام وهي رميم، قل له يحيها،
فنزل قوله تعالى : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)
(يس: ٧٩).^{١٧}

ومنهم النضر بن الحارث : كان أجراً قريش في تكذيب النبي وإذاية أصحابه.
كان إذا جلس الرسول مجلساً ودعا فيه إلى الله تعالى ، وأنذرهم ما أصاب الأمم
الخالية، خلفه النضر قائلاً : هلموا إليّ فإني والله أحسن حديثاً من محمد، وما
أحاديثه إلا أساطير الأولين.^{١٨}

ومن المستهزئين العمين : مُنّبهِ ونبيه السهميان : كانا يؤذيان الرسول صلى الله
عليه وسلم بلسانيهما، إذا لقياه قال : أما وجد الله من بيعته غيرك؟! إن ههنا من

¹⁴ ينظر : "سيرة ابن هشام" (١٢٨/٢) وسيرد تمام القصة - إن شاء الله - في مبحث النصره.

¹⁵ ينظر : "البداية والنهاية" (٩٠/٣) ، و"سيرة ابن كثير" (٥١/٢).

¹⁶ ينظر : "سيرة ابن هشام" (٢٠١/٢) ، و"البداية والنهاية" (٩٠/٣).

¹⁷ ينظر : "سيرة ابن هشام" (١٣٨/٢).

¹⁸ ينظر : "سيرة ابن هشام" (٩٨/٢).

هو أحسن منك، وأيسر حالاً، فإن كنت صادقاً فائتنا بملكٍ يشهد لك، ثم يقولان للناس : هذا معلم مجنون، يتكلم من أصل الكتاب ما يأتيكم به.

ومن الذين طار شرر استهزائهم، وأملى عليهم الشيطان أخبث رغائبه، والهوى أشنع أرجاسه ومكائده : الوليد بن المغيرة، وقد كان يقول : هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل؟!¹⁹

تلك نماذج قائمة من حملات قريش الفردية، في الاستهزاء بالرسول إبان استساراه بالدعوة. وكم كان يحز في نفسه صلى الله عليه وسلم ، ذلك الاستهزاء والتناول والبذاء، إلا أن إيمانه المشامخ، وحلمه الموفور صلى الله عليه وسلم ، كان خير مسلاة ومنجاة في تلك الشدائد والمحن.

ولما أذن الحق -سبحانه- لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة، والمعالجة بالإسلام -والتهبت أحداق المشركين ونعّبوا بالويل والثبور، وأرثوا نيران الحقد والعداوة والبغضاء، وزرعوا ألوية الكيد والإيذاء، وشرعوا قضب المكر والاستهزاء، ضدّ سيّد الأنبياء الموحى إليه من السماء صلى الله عليه وسلم . وانتهجوا شتى السبل والطرائق لإطفاء النور الوهاج، ووآد الخير الثجاج، ولكن (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَكَوَّ كَرَهُ الْكَافِرُونَ) (الصف: من الآية ٨) - نزل قوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (٩٤) [إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] (الحجر: ٩٤ - ٩٦) فصعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا، ونادى : (يا بني فهر، يا بني عدي) حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج، أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقل صلى الله عليه وسلم : [أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟] قالوا : نعم! ما جرّبنا عليك إلا صدقاً. قال : [فإن نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد] فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم، لهذا

¹⁹ ينظر : "سيرة ابن هشام" (١٠٥/٢)، و"سيرة ابن كثير" (٤٩٨/١).

جمعتنا؟ فنزلت : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (المسد: ٢) ٢٠ .

وكانت تلك أول شرارة المساءة للرسول صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به، غداة جهره بالدعوة، وتضاعفت -ولاشك- المحنة والبلايا على الرسول المجتبي، وعلى أصحابه -رضوان الله عليهم- خصوصاً الأعبد والضعفاء.

ويصلنا الحديث عن أبي لهب، بامرأته أم جميل، حيث كانت من أشد الناس عداوةً وحماً على الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كانت تسعى بالنميمة للإفساد بينه وبين الناس، وتضع الشوك في طريقه، والقذر على بابه، فينحيه صلى الله عليه وسلم ويقول : [أي جوار هذا يا بني عبد مناف؟] ٢١ . فلا عجب إذاً أن توعدّها الله وزوجها بالنار في قرآن يتلى إلى يوم الدين. ولما سمعت ما نزل فيها من القرآن الكريم، وزوجها الأثيم (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (المسد: ١)، أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر -حجرٌ ملء الكف- من حجارة، فلما وقفت عليهما، أخذ الله ببصرها عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت : مذمما عصينا، وأمره أينا، ودينه قلينا. وانصرفت، فقال أبو بكر : يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال : [ما رأيتني، لقد أخذ الله ببصرها عني] ٢٢ .

20 أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٠ ، ٤٩٧١).

21 ينظر : "سيرة ابن هشام" (٢٦٣/٢)، و"سيرة ابن كثير" (١٢٢/٢)، و"البداية والنهاية" (١٢٢/٣).

22 ينظر : "سيرة ابن هشام" (٢٠٠/٢)، و"سيرة ابن كثير" (٤٦١/١)، و"البداية والنهاية" (٢٧١/٦).

العنصر الأول : حملات رشق النبي صلى الله عليه وسلم بباطل الاتهامات،
وتكذيب القرآن الكريم لذلك.

ومن ضروب المجاهرة بالاستهزاء، والتحامل والاعتداء، التي سلكها كفار
قريش لصد النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته؛ رميه بالاتهامات الباطلة،
ورشقه بالأوصاف الجائرة الكاذبة، وقد ذكرها القرآن الكريم، وفنّدها ودحضها،
وكذب افتراءاتهم تلك.

رشق النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر ، وما جاء به هو الشعر :

قال -تعالى- مخبراً عن ذلك : (وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)
(الصفات: ٣٦) وقال -تعالى- : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ)
(الطور: ٣٠) وقال -سبحانه- : (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ
شَاعِرٌ) (الانبياء: من الآية ٥).

تكذيب القرآن الكريم لذلك الافتراء والاستهزاء :

قال -سبحانه- : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ
مُبِينٌ) (يس: ٦٩) وقال عز وجل مفنداً لفريتهم الشنعاء : (وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُو
آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (الصفات: ٣٦ -
٣٧).

رشق النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون :

أخبر القرآن الكريم عن فريتهم الباطلة في قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (الحجر: ٦) ، وفي قوله -عز شأنه- : (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ) (القلم: من الآية ٥١).

رد القرآن الكريم وتكذيبه لتلك الفرية :

قال سبحانه : (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) (التكوير: ٢٢) وقال جلا وعلا : (مَا
أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (القلم: ٢-٣) وفي قوله

سبحانه : (وَيَقُولُونَ أَأَنَا لَنَارِكُو إِلَهَتِنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) (الصفات: ٣٦-٣٧).

رشق النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر، وما جاء به هو السحر :
وذلك فيما أخبر الله عز وجل عنه، في قوله : (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (الفرقان: من الآية ٨) وفي قوله تعالى : (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) (القمر: ٢) (وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (ص: من الآية ٤).

ردُّ القرآن وتكذيبه لتلك الفرية :

قال تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الأنعام: ٧) .

رشق النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كاهن، وتكذيب القرآن تلك الفرية :
وذلك فيما حكاه عنهم القرآن الكريم في قوله : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم: ١-٢) وفي قوله سبحانه : (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (الحاقة: ٤٢) .

رشق النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب والاختلاق :

أما هذه البهيتة، فهي أصل أصول الافتراءات، والحملات في الاتهامات، وقد انثالت مواضعها العديدة في القرآن الكريم، يقول تبارك وتعالى حكاية عن مشركي قريش : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) (الفرقان: من الآية ٤) وفي قوله تعالى حكاية عنهم : (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) (ص: ٧) .

ردُّ القرآن الكريم بهيتة الكذب والاختلاق عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

والآيات في ذلك وفيرة كثيرة، منها قوله عز شأنه : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٣-٤) وقوله تعالى في ردِّ شديد : (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ) (القمر: ٢٦) .

وفي الجملة، زكى الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم عن جميع الاتهامات والافتراءات التي ألحقت به زوراً وبهتاناً، في قولٍ بديع جامع : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤) خلقٍ عظيمٍ جليلٍ مُكتملٍ، عن جميع النقائص والمعائب والمثالب يتسامى ويجل.

العنصر الثاني : حملات الإيذاء والجفاء، تستمر ولا تقرر :

واستمرت قريش لاجئةً في عتوِّها وغلظتها، بكل ما أوتيت من قوة، نساءً ورجالاً، زرافاتٍ ووحداناً، لدحر الوافد الجديد من الدعوة الإسلامية.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل : ((هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل : نعم، فقال : واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي - زعم ليظاً على رقبته، قال : فما فجأهم منه إلى وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال : فقيل له : مالك؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة))^{٢٣}.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) قال : فأنزل الله عز وجل : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى (العلق: ٦-٧) إلى قوله : (كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق: ١٩) ^{٢٤}.

روى الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جُلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان

²³ "البداية والنهاية" (٤٤/٣)، و"سيرة ابن كثير" (٤٦٥/١).
²⁴ أخرجه البخاري برقم (٢٣٧)، ومسلم برقم (١٧٩٤).

فياخذه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم -عقبة بن أبي معيط- فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كان لي منعة طرحتة عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت -وهي جويرية- فطرحتة عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم (فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمى "أي : ذكر أسماءهم بالدعاء عليهم" صرعى يوم بدر، ثم سحجوا إلى القليب، قليب بدر)^{٢٥}.

وروى البخاري بسنده إلى عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : سألت عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر رضي الله عنه حتى دفعه عنه صلى الله عليه وسلم فقال : (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) (غافر: من الآية ٢٨)^{٢٦}.

ومن العداة المستمر، والاستهزاء الشَّمر، ما عاب به العاص بن وائل، الرسول صلى الله عليه وسلم، من موت الأولاد الذكور، مما لا يخلُّ بدين ولا رجولة ولا شرف. وكان من أمره : إذا ذُكِرَ الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال العاص : دعوه؛ فإنما هو أبتَرُّ لا عقب له، لو مات لانقطع ذِكره، واسترحتم منه، فأنزل الله سبحانه سورة الكوثر، تُبَكِّتُ العاص وتقمعه، وتُنوِّه بشأن الرسول وقدره

²⁵ أخرجه البخاري برقم (٢٣٧)، ومسلم برقم (١٧٩٤).
²⁶ أخرجه البخاري برقم (٣٦٤٣) و (٤٥٣٧).

وترفعه (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)
(الكوثر: ١-٣) ٢٧ .

وروى البخاري أن امرأة قالت للرسول صلى الله عليه وسلم ساخرةً مستهزئة:
"إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً!"
فأنزل الله تعالى: (وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)
(الضحى: ١-٣) ٢٨ .

أورد ابن هشام في سيرته قال: عندما أوشك دخول موسم الحج جمع الوليد بن المغيرة فريقاً من عتاة المعتدين، فقال لهم: (يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً) فأنزل الله في الوليد: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً) (المدثر: ١١-١٢) ثم أخذوا يتلقون الناس؛ يحذرونهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وشاء الله أن تصدر العرب من ذلك الموسم وقد شاع بينهم أمر الدعوة وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٩ .

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ)
(فصلت: ٢٦) .

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة، لما شنت قريش حملة التواصي بعدم سماع القرآن الكريم، وافتعال الشغب والصياح المنكر، حتى لا يفهم القرآن؛ فيؤثر في القلوب والأفئدة، خصوصاً وأن قريشاً أمة البيان والفصاحة والإعجاز.

ومن وسائل المكر والاستهزاء التي انتهجتها قريش لطمس نور الإسلام، ما أورده ابن هشام في سيرته، قال: مرّ الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً بجماعة

²⁷ ينظر: "سيرة ابن هشام" (٢/٢٣٩)، و"سيرة ابن كثير" (٢/٨٣)، و"البداية والنهاية" (٣/١٠٤).

²⁸ أخرجه البخاري برقم (٤٦٦٧)، ومسلم برقم (١٧٩٧).

²⁹ ينظر "سيرة ابن هشام" (٢/٣٣٤-٣٣٧)، و"الشفاء" (١/٢٠١)، و"البداية والنهاية" (٣/٦٠).

من زعماء قريش، فهمزوه واستهزؤوا به، فغاضه ذلك، فأنزل الله عز وجل :
(وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ) (الأنعام: ١٠) ٣٠ .

العنصر الثالث : قريش والحملات الباردة : التعجيز ، المفاوضة ، المساومة ،
الترغيب ، المقاطعة والإبعاد :

(أ) التعجيز :

العرب أهل حكمة وكياسة ودهاء، فبعد أن أعتهم حيل المعارضة الباردة،
والمجاهمة المتتدة، التي تعتمد وسائل التعجيز والمفاوضة والمساومة، والترغيب أيضاً.
فمما انتحته قريش في التعجيز، ما حكاه القرآن الكريم عن مطالبهم الخارقة :
(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ
مِنْ نَحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ
زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً
نُقرَأهُ) (الاسراء: من الآية ٩٠-٩٣)، فردّ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ،
كما في قوله تعالى : (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (الاسراء: من
الآية ٩٣).

ومن ذلك ما حكاه القرآن عنهم في سورة الفرقان : (لَوْلا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ
فَيَكُونُ مَعَهُ نَذيراً (٧) أَوْ يُلقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا) (الفرقان: من
الآية ٧-٨).

وقولهم في طلبهم للمحالات، وحوارق العادات : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ
الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً) (الرعد: من
الآية ٣١). والحكمة في كونهم لم يجابوا إلى طلبهم؛ لأنهم إن أجيئوا وكفروا؛

استأصلهم الله سبحانه بعذاب شديد كسالف الأمم، ولكن الله جل شأنه رفع عن أمة المصطفى هذا الوعيد؛ لقوله سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء: ١٠٧) .

(ب) المفاوضة :

المفاوضة في قضية الدعوة إلى الإسلام، أحد الحلول الذي ارتأته قريش لوأد الدين الجديد تدريجياً -بظنهم- . وذلك عندما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :
اعبد آلهتنا يوماً ونعبد إلهك يوماً، فنزل قول تعالى : (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) (القلم: ٩) وقوله سبحانه : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (الكافرون: ١-٦) وبهذه الآية القاطعة حُسمت مادة المفاوضة إلى الأبد.

(ج) المساومة :

أسلوب التعجيز تعثر، وطريق المفاوضة تعسر، وهاهي قريش -بعد أن أنهكتها الحيل والمكائد- تلوذ إلى المساومة.

وكان من خبر ذلك : أن قريشاً توجهت بأشرافها وكبرائها إلى أبي طالب، الذي دافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحنا عليه وذاد، وأخلص له في عمومته وزاد، فقالوا له : يا أبا طالب : هذا عمارة بن الوليد، أهد فتى في قريش وأجمله، فخذة فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً، فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله!! فقال أبو طالب : والله لبئس ما تسومونني!! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا -والله- لن يكون أبداً.

وعلى إثر ذلك الحدث نثر قصيدته العصماء، التي تفيض حمية وعصبية،
وشهامة ومروءة^{٣١}.

(د) الترغيب :

لعل سياسة الملاينة والترغيب والإغراء، أنجع من التسفيه والمنايذة والإيذاء،
ذلك ظن قريش مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أورد ابن هشام في سيرته، أ، عتبة بن ربيعة، قال : يا معشر قريش ألا أقوم إلى
هذا، فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد!
فقام حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي، إنك منّا
حيث قد علمت من السّطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت
قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وكفّرت من مضى
من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعل تقبل منها بعضها،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل يا أبا الوليد، أسمع) قال : يا ابن
أخي، إن كنت تريد من هذا الأمر مالاً جمعنا لك مالاً حتى تكون أكثرنا مالاً،
وإن كنت تريد شرفاً سيّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد
ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثاً تراه، لا تستطيع رده عن
نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فلما فرغ من قوله،
تلا الرسول صلى الله عليه وسلم صدر سورة "فصلت" إلى قوله تعالى : (فَإِنْ
أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت: ١٣) عندها
انقلب عتبة كأن الصواعق المرسله والإنذار المبين حالٌّ به وبقومه، قائلاً : يا
معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه،
فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، والله ما سمعت منه : ما هو
بالشعر ، ولا بالسحر، ولا بالكهانة^{٣٢}. وفي رواية أخرى "ووالله إن قوله الذي

³¹ ينظر : "السيرة النبوية" لابن هشام (١/٣٣٠).

³² ينظر : "السيرة النبوية" لابن هشام (١/٣١٢-٣٦٣).

يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته" ٣٣.

(هـ) المقاطعة والإبعاد، من حملات الكيد والعناد :

أهاج قريشاً إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- لما كان لذلك من الأثر البالغ في عزة المسلمين وكثرتهم؛ فائتمر مشركو قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فأجمع بنو عبد المطلب وبنو هاشم على أن يُدخلوا الرسول صلى الله عليه وسلم شعبهم وأن يجموه من ختل الكفار، ولم يشذ إلا أبو لهب، فقد انحاز إلى أشباهه من المشركين، وبُنزوعه لوث صحيفة العصبية القبلية، والحمية النسبية.

واستمرت المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية ثلاث سنوات، اشتد فيها البلاء والجهد والجوع والخصاصة على المسلمين وأشياعهم، إلى أن نقضت الصحيفة - من قبل أشرف قريش - التي عُقدت لأجل المقاطعة والإبعاد والحصار ٣٤.

بموت أبي طالب، والزوج الحنون خديجة -رضي الله عنها- انثلم ركن شديد كان يزود عن دعوة الحق، شرار أهل الطغيان والعدوان، فما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يرتاد مكاناً آمناً ينشر فيه الضياء والحق، فتوجّه إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، وأقام فيه شهراً يدعو ثقيفاً، ولكن استغلقت قلوبهم وصمت آذانهم، فعمد على ثلاثة من أشرفهم وساداتهم : عبد ياليل بن عمرو ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو؛ فردوا عليه أقبح رد في عنجهية جافية، وجهالة قاسية، قال أحدهم : هو يمرط -أي : ينزع ويرمي- أثواب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر : "أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟! والله لا

³³ ينظر : "مستدرك الحاكم" (٥٠٦-٥٠٧).

³⁴ ينظر : "السيرة النبوية" لابن هشام (٤٣٠/١)، و"دلائل النبوة" للبيهقي (٣١١/٢-٣١٤)، و"الدرر في اختصار المغازي والسير" (ص٢٧-٣٠).

أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأن أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك".

ولله ما لاقى منهم حبيبا - فداه أبي وأمي - من السب والشتم والسخرية واللؤم، حيث أغروا به عبداهم وسفهاءهم، وغوغاءهم ودهماءهم، وقعدوا له صفين وهو خارج من الطائف، وجعلوا يرمونه بالحجارة، لا يرفع رجله، ولا يضعهما إلا رضخوه بالحجارة حتى اخضبت نعلاه بالدماء.

وموقف اللؤم من كفار ثقيف أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحملات في دعوته.

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال: ٣٠).

استمرت طلائع المسلمين في الانتشار، ونور الإسلام في الظهور والانتصار، عبر ركائب الحماة الأنصار؛ فشدخ ذلك عزة المستكبرين من عتاة المشركين، ونكأ جراحهم الممتدة، خصوصاً بعد بيعة العقبة الكبرى، التي قررت حماية الرسالة المحمدية، ممن يناوئها، من أي قوة بشرية. فتداعت قريش وائتمرت بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ليُقضَى عليه قضاءً مبرماً، ودارت مشاوراتهم في دار الندوة، وكان فحواها ما حكته الآية الكريمة المعنونة لهذه الحادثة. ومن تفاصيلها الكيدية ما رآه أو جمال، وهو: (أن يؤخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسبياً وسطاً، ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه فيتفرق دمه في القبائل جميعها).

ولكن الله -جلت حكمته- أنجى رسوله من هذه المكيدة الدهياء، بعد أن أخبره الوحي بما أرادوا، ففداه علي في فراشه، ولحقه أبو بكر إلى غار ثور، وخلص صلى الله عليه وسلم بسلام من شباك السيوف المسلولة حول داره صلى الله عليه وسلم. ولما تبينت قريش نجاة النبي صلى الله عليه وسلم التهب غضبها،

وهامت في الأودية والشعاب؛ قصاً لأثر المصطفى صلى الله عليه وسلم . وإمعاناً في حملتها، رصدت قريش مائة ناقة تحفيزاً لمن يدل على الرسول أو يأتي به حياً أو ميتاً^{٣٥}.

وامتناناً على الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصرة والنجاة، أنزل الحق سبحانه قوله : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠) .

المطلب الثاني : حملات المنافقين على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

ولما استوت سفينة الدعوة الإسلامية المباركة، على جودي المدينة النبوية، وظهر التآلف والتآخي بين المهاجرين والأنصار، سرى الحقد والبغض من بعض العرب الذين كانت لهم الزعامة في المدينة، وتآمروا مع اليهود على عداوة المسلمين والإيقاع بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخذوا سبيلاً لذلك إلا أن يظهروا الإسلام ويبطنوا الكفر والخذلان، إذ ذلك نجمت ظاهرة النفاق.

وقد تزعم تلك الحملات المبطنة بالحقد والمكر والمداهنة، رأس المنافقين : عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي. وكان من سموم نفاقه أن قال في غزوة بني المصطلق -يوقض فتنةً وأدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويُذكي لهبها- أوقد فعلوها؟ -أي : المسلمين- قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول (سمن كلبك يأكلك)، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على الحاضرين من قومه فقال : "ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم"، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمر رضي الله عنه فاستأذن رسول الله في قتله أو أن يأمر به من

³⁵ ينظر تفاصيل ذلك في : "السيرة النبوية" لابن هشام (١٠٠/٢-١٠١).

يقتله، فقال صلى الله عليه وسلم : (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه). وفي هذه الواقعة أنزل الله عز وجل سورةً بتمامها تفضح دِخْلَةَ ذلك المنافق، وهو ذاته الذي تولى كبر الخوض في حديث الإفك^{٣٦}، الذي نزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم الدين^{٣٧}.

العنصر الأول : غزوة الأحزاب وسورتها الكريمة يفضحان المنافقين :

وذلك عندما نزل قوله تعالى : (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (الأحزاب: ١٢) وهم الذين قالوا ساعة الإعداد للجهاد : إن محمداً يعدنا ملك كسرى وقيصر ولا يقدر الواحد منا أن يذهب إلى الغائط.

وأما عبد الله بن أبي وأصحابه، فقد خَلَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْجَفُوا بَيْنَهُمْ بِالرَّجُوعِ سَالِمِينَ، والتنحي عن صفوف المجاهدين، وقد حكى القرآن قوله : (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) (الأحزاب: من الآية ١٣) وزاد القرآن الكريم في فضحهم وكشفهم، وذلك في قوله سبحانه : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (الأحزاب: من الآية ١٩).

العنصر الثاني : غزوة تبوك تفضح ضغائن المنافقين :

استخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة علياً رضي الله عنه على أهله، فَمَارَتْ أَحْقَادُ الْمُنَافِقِينَ وَدَسَائِسُهُمْ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً له. وتخلّف عن هذه الغزوة ابن أبيٍّ وأشباهه من المنافقين القائلين : (يغزو محمد بنى الأصفر - الروم- مع جهد الحال والحر والبلد البعيد!! أيحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعب!! والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرّنين في الجبال)^{٣٨}. وهؤلاء

³⁶ ينظر تفصيل ذلك وبيانه في : "صحيح البخاري" برقم (٣٣٣٠)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٥٨٤).

³⁷ ينظر : (سورة النور : ١١).

³⁸ ينظر : "سيرة ابن هشام" (٢٠٥/٥).

المخذّلون هم الذين أخبر الله عنهم : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة: من الآية ٨١).

العنصر الثالث : المنافقون ومسجد الضّرار :

لم يكتف المنافقون في المكر والتشيط، بالحملة الكلامية السرية، حتى لجؤوا إلى بناء مسجدٍ ضرار، زعموه لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، وما هو إلا للتفريق بين المؤمنين، وما بناؤه إلا بأمر أبي عامر الفاسق الذي حمل لواء العداوة للرسول صلى الله عليه وسلم ، من أول يوم قدم فيه المدينة. وقد نزل جبريل بنخبر المسجد ومَرَامِيهِ الخبيثة، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتهديمه وتحريقه، وفي ذلك نزل قوله سبحانه : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) (التوبة: ١٠٧-١٠٨) ^{٣٩}.

المطلب الثالث : حملات اليهود :

أحياء اليهود من سكان المدينة : بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، وجاورهم من قديم التاريخ، قبيلتا : الأوس والخزرج. ولما كان اليهود أهل كتاب، يعلمون صفات النبي المبعث، كانوا يستفتحون على الأنصار، بأنهم سيتبعونه، وسيأخذون بثأرهم منهم؛ لقوتهم وغلبتهم عليهم. فلما جاء الحق كفروا به، وجحدوا الرسالة المحمدية؛ حسداً من عند أنفسهم للعرب.

وعن ذلك أخبر المولى سبحانه في قوله : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٨٩) وفي قوله سبحانه : (الَّذِينَ

³⁹ ينظر : "سيرة ابن هشام" (١/٥٣٠).

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٤٦) وعادى هؤلاء الشذاذ الإسلام ونبىه صلى الله عليه وسلم، عداءً حاقدًا سافراً، ولا تزال مكائدهم تتربص بالمسلمين ومُقدّماتهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا من عصم الله سبحانه.

قال تعالى : (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (البقرة: من الآية ١٢٠) بكل أساليب المكر والغدر والخيانة والكذب والنقص.

العنصر الأول : من افتراء اليهود وكذبهم :

روى ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- دخل أبو بكر رضي الله عنه المدارس على فنحاص فقال له : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، وأنا عنه لأغنياء!! لو كان غنياً ما استقرض منّا كما يزعم صاحبكم -يريد قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (الحديد: من الآية ١١)- ينهاكم عن الربا ويعطيناه؛ ولو كان غنياً ما أعطانا!! فأنزل الله -سبحانه- قوله فيه : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) (آل عمران: من الآية ١٨١).

العنصر الثاني : يهود بني قينقاع واستخفافهم بالوعيد النبوي :

وكان من شأنهم، أن جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم : (يا معشر يهود احذروا من الله، مثل ما أنزل بقريش من النعمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أبي نبي مرسل) فقال الكفرة والمعاندون في تحمل وتغيُّض "يا محمد لا يغرّتك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحروب فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنا نحن الناس" فأنزل الله في شأنهم : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (آل عمران: ١٢) .

العنصر الثالث : يهود بني النضير وتآمرهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم :

اليهود قوم الخيانة والغدر، تأصلوا على ذلك ومردوا، على ما سبق آنفاً. ومن مخازي غدرهم :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم وادعهم على أن يأمن كل فريق الآخر، ولكنهم لم يفوا بالعهد وهموا بقتل الحبيب صلى الله عليه وسلم -فداه أبي وأمي- وخبر ذلك الحادث : أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى بني النضير يستعينهم على دية رجلين، فأظهروا حسن الاستعداد لإجابته، ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة -وكان صلى الله عليه وسلم جالساً إلى جنب جدار لهم- فَمَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرةً ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك، الشقي عمرو بن جحاش، فقال : أنا لذلك. فصعد ليلقي الصخرة، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم اللئام، فقام راجعاً إلى المدينة. وفي ذلك الحي وأخباره نزلت سورة الحشر.

العنصر الرابع : من حملات اليهود وغدرهم : الشاة المسمومة :

أحسن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر، فحقن دماءهم، ووافق على عدم إجلائهم من المدينة بشروط، بعد أن توسلوا إليه في ذلك، ولكن نفوسهم التي أكنّت الحقد والبغض والكيد، على الإسلام ونبيّه، أبت أن تلين أو تدعن، فهاهي الشقية، زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، تهدي النبي صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومة، فلما أكل منها قطعة لم يسعها، وقال : (ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة) ثم دعا بالمرأة فاعترفت، فقال لها : (ما حملك على الذي صنعت) فقالت : إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، وإن

كنت ملكاً أرحت الناس منك" ^{٤٠} وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري) ^{٤١}.
ومن أجمع الآيات الدالة على حقد اليهود وبغضهم للمسلمين قوله -جل شأنه- : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (المائدة: من الآية ٨٢).

العنصر الخامس : من رؤوس اليهود الذين تولوا كبر حملات الشتم والسب :
١- كعب بن الأشرف :

روى أهل السير، أن كعب بن الأشرف كان شاعراً، من يهود المدينة وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويحرض عليهم كفار قريش ويؤذيهم في شعره ^{٤٢}.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما، من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله) فقام محمد بن مسلمة، فقال : أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال : (نعم) ^{٤٣}.

وفيه نزل قوله تعالى : (وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً) (آل عمران: من الآية ١٨٦).

٢- أبو رافع عبد الله بن أبي الحقيق اليهودي :

من رؤوس السخرية والاستهزاء، والشتم والعداء، لسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الصحابة الكرام شأنه للرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقتله، جزاءً وفاقاً لأفعاله الخبيثة ^{٤٤}.

⁴⁰ أخرجه أبو داود برقم (٤٥١٢).

⁴¹ أخرجه البخاري برقم (٤١٦٥).

⁴² ينظر : "المغازي" للواقدي (١٨٧/١)، و"الطبقات" لابن سعد (٣١/٢)، و"السيرة النبوية" لابن هشام (٤٣/٣)، و"الصارم المسلول" على شاتم الرسول" (١١٢/٢).

⁴³ أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٧) ومسلم برقم (١٨٠١).

⁴⁴ ينظر : "صحيح البخاري" حديث رقم (٤٠٣٨-٤٠٤٠)، و"السيرة النبوية" لابن هشام (٩٥٢/٣).

٣- أبو عفك اليهودي :

وكان من شأنه، هجاء النبي قولاً وشعراً، حتى إذا خرج النبي إلى بدر، وانتصر نصره المبين، هجاه ابن عفك وحسده في قصيدة حاقدة جائرة^{٤٥}.

٤- العصماء بنت مروان اليهودية :

ومن النساء اللاتي شقين بشتم الرسول صلى الله عليه وسلم العصماء اليهودية، حيث كانت تدأبُ في هجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (من لي بها؟) فقام رجل من قومها، من خطمة فقتلها، وكان الرجل، عمير بن عدي فامتدحه حسان بأبيات، منها :

فَضَّرَجَها من نَجِيعِ الدِّما قُبيل الصَّبَّاحِ ولم تُخْرَجْ
فَأوردك اللهُ بَرْدَ الجِنا ن جِذلانِ في نِعمةِ الموجِ

٥- حديث اليهودية :

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن أعمى كانت له أم ولدٍ تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه، فأخذ المغول -سيف ماض له قفا- فوضعه في بطنها واتكأ عليه فقتلها. فلما أصبح ذَكَرَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : (ألا اشهدوا أن دَمَها هدر)^{٤٦}.

⁴⁵ ينظر : "المغازي" للواقدي (١/١٧٤)، و"السيرة النبوية" (٤/٦٣٥)، و"الصارم المسلول على شاتم الرسول" (٢/٢١١).

⁴⁶ أخرجه أبو داود برقم (٤٣٦١)، والنسائي (١٠٧/٧).

الفصل الثاني : نصره رب العالمين - سبحانه - لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على الحاملين الشائنين :

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم على نصره رب العالمين لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم :

سبق معنا ما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من غلاظ الوثنية، وصناديد الجاهلية، وخطاريف العبيية، من معارضة عاتية للدعوة الحمديية وصدود، وتهجمات على جناب المصطفى شرس عنود، ومع تلك الزوابع والرعود، كانت نصره الله لنبيه ورعايته، تكلؤه من ورائه وتحيطه، تؤيده وتُرِييه، ومنّ مِشارِع النصر تُزلفه وتدنيه، وهذه ومضات من الوحيين الشريفيين؛ نسوقها إِبْرَاهِماً وتديلاً.

يقول - سبحانه - : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر: ٩٤-٩٥) يقول الإمام القرطبي (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر: ٩٤) أي : عن الاهتمام باستهزائهم، وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله مما يقولون^{٤٧}.

ويقول - سبحانه - : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) (التوبة: من الآية ٤٠).
ويقول - تبارك اسمه - : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (الزمر: من الآية ٣٦). أي : كافيهِ إِذِيَةِ الْمُشْرِكِينَ، وتطاول المستهزئين، ودحهم دون بلوغ كيدهم فيك.
ويقول - جلّت حكمته - : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (أنفال: ٣٠) وتقدم سبب نزول هذه الآية الكريمة.

ويقول - عز اسمه - : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: من الآية ١٣٧).

⁴⁷ ينظر : "الجامع لأحكام القرآن" (٥٧/٩).

أي : هو السميع بمكائدهم المدبرة الخفية، العليم بحملاتهم العلنية.
وقوله تعالى : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (الكوثر: ٣) تقدم الحديث عنها وعن
سبب نزولها.

وفي وعيد شديد، لمنى آذى الرسول صلى الله عليه وسلم أو رام إيذائه قولاً أو
فعلاً، تصریحاً أو تلميحاً، يقول جل جلاله : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (الأحزاب: ٥٧).

المبحث الثاني : الأدلة من السنة المباركة على نصره رب العالمين لرسوله
الكریم صلى الله عليه وسلم على الحاملين الشانئين :

تقدمت أحاديث كثيرة، ومواقف بطولية متعددة من الصحابة الأبرار، في
نصرة سيد الأنام، والذب عن عرضه الشريف، دون الحسدة والمنافقين اللئام.
ونضيف إلى ما سبق، بعض الدرر، من مواقف العزة والصمود :

فمن سعد بن عبادة قال : "بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عصاة من
أصحابه على الموت يوم أحد، حتى انهزم المسلمون فصبروا وكرموا وجعلوا
يسترونه بأنفسهم، يقول الرجل منهم : نفسي لنفسك الفداء، يا رسول الله،
وجهي لوجهك الوقاء يا رسول الله، وهم يحمونه ويقونه بأنفسهم، حتى قتل
منهم من قتل^{٤٨} .

وفي الجمع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : (ألا
تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، وأنا
محمد)^{٤٩} .

كذلك قصة سراقه بن مالك الجعشمي^{٥٠}، فيها من آيات الله لنصرة نبيه صلى
الله عليه وسلم، وإكرامه، وحمایته، وصونه عن دسائس العدو، ما لا قبل للبشر
بالإتيان بمثله أو بنحوه.

⁴⁸ أخرجه أحمد برقم (١٣٧٧١).

⁴⁹ أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٣).

كذلك قصة إلام حمزة، وتقييضه لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد أن سب أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم -ومما جاء فيها- وقد تقدم طرفها الأول - (.... فغضب حمزة) - وكان أعز فتى في قريش، وأشدّه شكيمة - فخرج يسعى، لم يقف لأحد، مُعدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل قام على رأسه وقال : يا مصفر استة، تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجةً منكراً، فثار رجال من بني مخزوم، وثار رجال من بني هاشم -حيُّ حمزة- فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة، فإنني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً^{٥١}.

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^{٥٢}، وفي ذلك نزل قوله تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة: من الآية ٤٠).

50 أخرجه البخاري برقم (٣٦٩٦).

51 ينظر : "السيرة النبوية" لابن هشام (١/٢٩١-٢٩٢).

52 أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٣) ومسلم برقم (٢٣٨١).

الفصل الثالث : الحكم من الكتاب والسنة فيمن آذى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم استهزاءً أو شتماً أو سباً.

المبحث الأول : الحكم وأدلته من الكتاب والسنة :

فيومئذ ظهر الإسلام في بني خزيمة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفاً من قومهم^{٥٣}.

حقيقة :

تلك هي السلالة اليهودية الوبيئة، في باطنها المستوقد بالبغضاء والحقد، مهما وارتب بالإخاء، وداجت بالوداد والوفاء. وذلك هو جزاؤها الحق في التطاول على جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

المطلب الأول : دليل الحكم من الكتاب :

الآيات القاضية بكفر وقتل شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم أو منتقصه أو سابه كثيرة، نقتصر على البعض منها :

فقوله -تعالى- : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة: من الآية ٦١) إلى قوله : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ٦٣) ، فعلم أن إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم محادة لله ولرسوله؛ لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة، ودليل أن الإيذاء والمحادة كفر، ما أخبر به أن له نار جهنم خالداً فيها^{٥٤}.

وقوله تعالى : (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ) (التوبة: من الآية ٦٤-٦٦) ، وهذه الآية الكريمة نص في أن المستهزئ بالله

⁵³ ينظر : "المغازي" للواقدي (١٧٢/١-١٧٣) و"السيف المسلول على من سب الرسول" (ص٢٧٨-٢٧٩).

⁵⁴ ينظر : "الصارم المسلول على شاتم الرسول" (٥٨/٢) يتصرف بسير.

أو بآياته أو برسوله صلى الله عليه وسلم قد كفر، وهذه الآية نزلت في الخائض
اللاعب، فالجاء القاصد من باب الأولى^{٥٥}.

وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (الأحزاب: ٥٧).

ومعنى اللعن : الإبعاد والإقصاء عن رحمة الله سبحانه والطرده في الدنيا والآخرة
حُكْمٌ من تلبس به كان كافراً عياداً بالله.

وللعلامة ابن سعدي رحمه الله قول نفيس في هذه الآية : قال -رحمه الله- :
"لما أمر الله تعالى تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم نهي عن أذيته وتوعد عليها
فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (الأحزاب: ٥٧) وهذا يشمل كل أذية
قولية أو فعلية : من سبَّ وشتَّم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى
(لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا) (الأحزاب: ٥٧) أي : أبعدهم وطردهم، ومِنْ لَعْنِهِمْ فِي
الدنيا، أنه يتحتم قتل من شتم الرسول صلى الله عليه وسلم وآذاه^{٥٦}. وقوله
-سبحانه- : (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقْتُلُوا قَتِيلًا) (الأحزاب: ٦١).

المطلب الثاني : دليل الحكم من السنة :

تقدّمت الأدلة من السنة على أن من شتم الرسول صلى الله عليه وسلم أو
هجاه وتنقصه، فإنه يكون حلال الدم، يجب قتله، يضاف إلى ذلك : قول القائل
لرسول صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين : إن هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله، فقال عمر رضي الله عنه : دعني أضرب عنق هذا المنافق^{٥٧}.
وإنما منعه لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

⁵⁵ ينظر : "تفسير الطبري" (٤٠٨/٦-٤٠٩).

⁵⁶ ينظر : "تيسير الكريم المنان" (٦٧١).

⁵⁷ أخرجه مسلم برقم (١٠٦٣).

وعن أبي برزة قال : أغلظ رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت : أقتله؟ فانتهرني وقال : ليس هذا لأحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : أن رجلاً شتم أبا بكر، فذكره⁵⁸.

وقد استدل به جماعات من العلماء على قتل الساب، منهم : أبو داود وإسماعيل بن إسحاق، وأبو بكر عبد العزيز، والقاضي أبو يعلى⁵⁹.

وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - في حديث الإفك : (من يعذرنى من رجلٍ بلغني أذاه في أهلي) فقال سعد بن معاذ : أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك⁶⁰.

قال تقي الدين السُّبكي : وقول سعد بن معاذ هذا، دليل على أن قتل مؤذيه كان معلوماً عندهم، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره، ولا قال له : إنه لا يجوز قتله، والمستعذر منه ابن أبي، وكان ظاهره الإسلام، ولم يكن قصد سعدٍ قتله لنفاق، وإنما كان لأذاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قلت : قد كان من جملة من خاض في الإفك مسطح وجماعة من خيار المسلمين ممن يقطع بأهم لا يحكم عليهم بكفر، ولا قتل، ولو كان ما استدلت به على ظاهره لوجب إجراء ذلك عليهم، ولكان سب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موجبا للكفر أو للقتل، قلت : الأذى على قسمين : أذى مقصود، وأذى غير مقصود.

فَمِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ وَحَسَانٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودَهُمْ أَذَى النَّبِيِّ، فَلِذَلِكَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ كُفْرٌ وَلَا قَتْلٌ، وَأَمَّا ابْنُ أَبِي فَكَانَ مَقْصُودَهُ بِالْأَذَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِذَلِكَ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ لِلنَّبِيِّ، فَلَمْ تَرَكَهُ⁶¹.

58 أخرجه النسائي برقم (٤٠٧١).

59 ينظر : "الصارم المسلول" (١٩١/٢-١٩٤).

60 أخرجه البخاري برقم (٤١١٤) ومسلم برقم (٢٧٧٠).

61 ينظر : "السيف المسلول" (١٠٦-١٠٧).

المطلب الثالث : دليل الحكم من الإجماع :

انعقد إجماع عامة أهل العلم على أن شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأبه، حلال الدم، واجب القتل.

قال ابن المنذر في كتابه "الإجماع" أجمع عوام أهل العلم، أن حدَّ من سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، القتل، وممن قال ذلك : مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وهو مذهب الشافعي^{٦٢}.

قال القاضي عياض -رحمه الله- : "أجمعت الأمة على قتل متنقِّصه من المسلمين وسأبه... " وقال -رحمه الله- : "اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم وأعابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلةٍ من خصاله أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإضرار عليه أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، فهو سَابٌّ له، والحكم فيه حكم السَّابِّ، يقتل، لا نَمْتَرِي فيه تصریحاً كان أو تلويحاً^{٦٣}.

وقال الإمام الخطابي : "لا أعلم أحداً من المسلمين، اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً"^{٦٤}.

⁶² ينظر : "الإجماع" (ص ١٢٨) تحقيق : فؤاد عبد المنعم.

⁶³ ينظر : "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" (١٨٨/٢).

⁶⁴ ينظر : "معالم السنن" (١٩٩/٦).

المبحث الثاني : أقوال الفقهاء والنقول عنهم في هذه القضية :

المطلب الأول : مذهب الحنفية :

جاء في "حاشية ابن عابدين" : "ولهذا أفتى أكثرهم بقتل من أكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة وإن أسلم بعد أخذه، وقالوا : يقتل سياسة"^{٦٥}.

وفي موطن آخر قال صاحب الحاشية : "وحاصله أن نقل الإجماع على كفر السَّب، ثم نقل عن مالك. ومن ذكر بعده أنه لا تقبل توبته، فعلم أن المراد من نقل الإجماع على قتله قبل التوبة - ثم قال - وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه"^{٦٦}.

المطلب الثاني : مذهب المالكية :

وبنحو ما ذهب إليه الحنيفية، قال المالكية : فعن مالك - رحمه الله - قال : "من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب"، وقال ابن عتاب : "الكتاب والسنة موجبان : أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل، فقتله واجب"، وقال حبيب بن ربيع القروي : مذهب مالك وأصحابه : "أن من قال فيه - عليه السلام - ما فيه نقصٌ قتل دون استتابة"^{٦٧}.

المطلب الثالث : مذهب الشافعية :

ورد في روضة الطالبين ما نصه : "عن أبي بكر الفارسي أنه قال : من شتم منهم النبي صلى الله عليه وسلم قُتِلَ حَدًّا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن خطلٍ والقينتين"^{٦٨}.

المطلب الرابع : مذهب الحنابلة :

ذهب الإمام أحمد - رحمه الله - إلى أن من شتم الرسول صلى الله عليه وسلم أو تنقصه، فإنه يقتل دون استتابة.

⁶⁵ ينظر : "حاشية ابن عابدين" (٦٣/٤).

⁶⁶ ينظر : "حاشية ابن عابدين" (٢٣٢/٤).

⁶⁷ ينظر : أقوال المالكية وما تقدم منها في "الشفاع" (٢١٩/٢).

⁶⁸ ينظر : "روضة الطالبين" (٥١٧/٧)، و"حاشية الجمل على المنهج" (٢٢٧/٥).

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : "كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه -مسلماً كان أو كافراً- فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب"، قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : "كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثاً مثل هذا رأيت عليه القتل"⁶⁹.

وقال أبو يعلى : "من سب الله أو سب رسوله، فإنه يكفر سواء استحل سبه أم لم يستحله، فإن قال : لم أستحل ذلك، لم يقبل منه في ظاهر الحكم، رواية واحدة وكان مرتداً"⁷⁰.

المطلب الخامس : الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم :
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله، هذا مذهب عليه عامة أهل العلم قال ابن المنذر : [أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل].

المبحث الثالث : ما أشبه الليلة بالبارحة !!!

أخي القارئ الكريم : وفي هذه الآونة الأخيرة، أعاد التاريخ القاتم لكفار قريش نفسه، فتفطرت قلوب شرذمة من كفار الدانمارك (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) (البقرة: من الآية ١١٨) عن حقدٍ طافح، وجريمة نكراء، وجهالة عريضة جهلاء، تستهزئ برسولنا الكريم، عبر رسومات (كاريكاتورية) باغية طاغية، تطعن في دين الإسلام، وخير نبي أرسل للأنام، تحت لواء حرية التعبير المزعومة، والديمقراطية المشؤومة، والتفاف الفكر الغربي وسدنته، حول تلك الطامة الغامة، راضياً ومؤيداً دون شجبٍ أو استنكار، وما ذلك -لعمرك الحق- إلا لأنه ذلك الكيد الأرعن وافق هوىً في قلوبهم المنتكسة، وذمهم المنتقضة، التي كشفت بجلاء ما دونه لبس، عن إكناها البغضاء، للإسلام والمسلمين، وإن داجت في العالمين برائق

⁶⁹ ينظر : "أحكام أهل الملل" (٧٢٤)، و"مسائل أحمد" رواية عبد الله (١٢٩٢/٣)، و"الصارم المسلول" (١٨-١٧/٢).
⁷⁰ ينظر : "الصارم المسلول" (١١٧/٣)، و"السيف المسلول" (١٠٣).

الشعارات، وعذب العبارات، يقول الحق - سبحانه - : (قَدْ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) (آل عمران: من الآية ١١٨).

نعم! إن ذلك الحدث الذي أرجف العالم ليعجب العُيُور ويحملهم على الاضطراخ والنداء : خبرونا يا هؤلاء عن حرية التعبير وضوابطها فإننا - في زعمكم - نسيناها، والتنبؤونا عن موثيق قدسية الرسل والرسالات فإننا - في ظنكم - أغفلناها. ألا تكون حرية التعبير إلا في سب مقدسات المسلمين والنيل من عظمائهم والوقية في أنبيائهم لكنها المعايير المزدوجة والمكايل المضطربة.

عجباً لهذا الحقد يجري مثلما يجري صديد في القلوب وقار

وإذا سُخِرَ من عظيم الدنيا برمتها بين من يزعمون الائتنام على المبادئ والحقوق، والرقي والشرف، فهيئات ألا تُخفر بينهم العهود، وتخييس الذمم. ويحكم يا هؤلاء أحيوا العدل والصدق وانشروه، وأميتوا الصلف والزيغ واقبروه، تأمنوا البوائق التي تخشون اندلاعها.

وإنه لا يخفى على النصفة والعقلاء، أن تلك الآفة الخلقية الدنسة التي انتهكت باستهزائها بالنبي صلى الله عليه وسلم حرمة مليار ونصف من المسلمين وتهكمت بمشاعرهم لتهوي بالأمل في النهوض بدعاوى احترام الآخر، ودعاوى التسامح، وحوار الحضارات، ودعاوى نشر السلام والوئام، وما إليها من شناشن أخزمية، نعم تهوي بذلك كله إلى يهماء قرق لا باطلاً تردُّ، ولا زوراً تقي، ولقد استبان لكل ذي بصيرة من الذي يغذي التطرف والإرهاب ويذكي العنصرية والعنف والكراهية بين الشعوب ويؤججُ والإقصاء وصراع الحضارات، وأما الذين استناموا وأصمُّوا آذانهم عن نداءات الاستفظاع لهذا الحقد الدفين، واستدبروا صرخات التجريم واستنجاز التحكيم، فقد خانوا أماناتهم ودياناتهم، ولن يضرروا الإسلام، وسيد الأنام شيئاً (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) (المجادلة: من الآية ٢١).

وإنَّ تلك الهبات الصارمة، والغضبات العارمة لنصرة خير العباد في أقصى
 البقاع وشتى البلاد، بمتنوع الوسائل والطرائق لاسيما موقف بلاد الحرمين
 الشريفين الرسمي الحازم والشعبي الحاسم وسائر البلاد الإسلامية وأحاب رسول
 الإسلام في كل مكان، لشدَّما أجهجت الغيور، وشرحت بالبشر الصدور، وكذا
 ما خطَّته الأسلات، فقد نورَّت من المحبِّ المقل، وآست الكَلَم وحلَّت العُقَل، الله
 أكبر بصوت واحد ملايين المسلمين في الأرض ترفع الشعار التاريخي : إلا رسول
 الله وترفض الاعتذار وتطالب بالمحاكمة، يا لها من مواقف مؤثرة تذكي عزة
 المسلمين ووحدهم وتعزز مكاتتهم دولياً وهيتهم عالمياً، ولقد قال الله عز وجل
 في إفك أسلافهم (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) (النور: من الآية ١١)،
 ولعمر الحق لقد زفت لنا تلكم الهبات والغضبات موقف المقاطعة السياسية
 والاقتصادية الصامد منظوم الأكاليل، وهذا القرار الحاسم وسواه سيئتهم إلى
 قضبان الذلة و[المحاكمة] تلاً. وأما الذين اناقلوا عن نصرة المجتبي والتنديد، ولم
 يبالوا بالة، فليتقوا الله عز وجل وليفيؤوا إلى هذا المسعى الحميد، ألا فتشل
 الأيدي وتخرس الألسن وتتقصف الأقاليم وليجف المداد ولينأى الإعلام إن لم يجنِّد
 في الدفاع عن سيد الأنام رسول الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام.

عرضي فدا عرض الحبيب محمد	وفداه مهجة خافقي وجناني
وفداه كل صغيرنا وكبيرنا	وفداه ما نظرت له العينان
تبت يد لما أساءت رسمها	شلت يمين المجرم الفتان
الله مخزيهم وموبق سعيهم	والله ذو بطش وذو سلطان

وإننا لنعقد يقيناً أن هؤلاء الذين غمسوا أياديهم الحمراء، في ذلك الجرم
 البغيض، ومن ظاهرهم بالصمت أو الرضا، قد عرضوا أنفسهم ومجتمعهم لعذاب
 الله وعقابه، عاجلاً أو ناجزاً، بقول الحق - سبحانه - : (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ
 قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (الرعد: ٣٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "ومن سنة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله؛ فإن الله - سبحانه - ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، أما قال سبحانه : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر: ٩٤-٩٥) . وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكرم رسوله فثبت ملكه. فكل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره"^{٧١}.

ورضى الله عن حسان، حيث قال :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
فإنَّ أبي ووالدهَ وعِرضي
وعند الله في ذاك الجزاء
لِعِرضِ محمدٍ منكم وِقَاء

ولله دُرُّ القائل :

بأبي وأمي أنت دونك مهجتي
ما أنقصوك فأنت أنت أجل
في صدر من سلقوك أغرسها مدي
خلق الله منزلةً وأكمل سؤددا

المطلب الأول : شهادات الأعداء تتصف لمقام سيّد الأنبياء :

وإزاء الشمائل النبوية، والمناقب الطاهرة المحمدية، خضع منصفوا الغرب ودانوا بالنبل والإنسانية، والفضل والعلمية لهذه الشخصية الزكية، يقول أحدهم : (إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رجل عظيم حقاً، لماذا؟ لأنه شكّلت أكثر من مائة من الدول على أسس المبادئ والأنظمة والدساتير التي وضعها)، وقال آخر : (إنه يجب أن يُدعى محمداً صلى الله عليه وسلم منقذ الإنسانية، ولو أن رجلاً مثله تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته وأحل السلام والسعادة في العالم) ويقول غيره (لا ريب أن محمداً كان من عظماء الرجال المصلحين، ويكفيه فخراً أنه هدى أمةً برمتها إلى نور الحق، وفتح لها طريق الرقي والمدينة)، وقال آخر (لم

⁷¹ ينظر : "الصارم المسلول" (٣١٦/٢-٣١٧).

يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم! تلك هي رسالة المنصفين من العالم نرفها إلى العالم وليس ثمت تعليق، فالفضل ما شهدت به الأعداء.

المطلب الثاني : (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) (النور: من الآية ١١) :

إن التطاول الشنيع على شخص نبينا صلى الله عليه وسلم ، الذي مزق قلوب المسلمين، وأثار حفاظهم ولوعاتهم، في شرق الأرض ومغارها، لم يكن شراً محضاً، بل عند السبر والتمحيص، أسفر عن منن جلى، ومبشراتٍ في آفاق المسلمين ووحدهم.

إني أقول وللدموع حكاية	عن مثلها تتحدث الأمطار
إنا لنعلم أن قدر نبينا	أسمى وأن الشائنين صغار
لكنه ألم المحب زيده	شرفاً وفيه لمن يجب فخار

ومن تلك المنن والمبشرات :

١— انكشاف الأحقاد الدفينة لدى الكافرين، إزاء الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما نفى أي شك كان يتردد في ولائهم أو صدقهم.

٢— إحياء عقيدة البراء من الأعداء الألداء.

٣— إحياء محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب المؤمنين، وخصوصاً السادرين، وظهوره معبراً في أسمى معانيه.

٤— توحيد المسلمين حكاماً ومحكومين، في مشارق الأرض ومغارها، حول هم أصابهم وأقلقهم.

٥— البشارة بأن الأمة الإسلامية المتناثرة، يمكنها الاجتماع والائتلاف، وإبطال مقولة : أن ذلك ضربٌ من المحال.

٦— إحياء السيرة النبوية، في كثير من الأقطار الإسلامية، عبر المؤسسات الخيرية والدعوية، والجامعات والمعاهد الرسمية، وهذا المؤتمر المبارك من ثمراتها.

٧- عودة المسلمين إلى التمسك بالسنة النبوية.

وعرضك عرضنا ورؤاك فينا
وأعلى الله شأنك في البرايا
فهذي أمة الإسلام ضجت
وقد تشفى الجسوم على الرزايا
وقد تصحو القلوب إذا استفزت
ولفح النار يوقظ من سبات
ومنزلة الشهادة والصلاة
وتلك اليوم أجلى المعجزات
وقد تجى المني بالنائبات
ويعلو الدين من كيد الوشاة

٨- دخول كثير من الناس في دين الله، بسبب معرفة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشمائله، وخصائصه.

٩- المنة بمعرفة الأمة، تقصرها في جانب السنة.

١٠- في تلك الحملة الشعواء، كان تعرف العالم أجمع، على خاتم الأنبياء والمرسلين، وكونه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة لهذه البشرية جمعاء.

ماذا يزيدك مدحنا وثناؤنا
إني لأرخص دون عرضك مهجتي
ويل فويل ثم ويل للذين
روحي وأبنائي وأهلي كلهم
والله في القرآن قد زكا
روع تروح ولايمس جماكا
قد خاص في العرض الشريف ولاكا
وجميع ما حوت الحياة فداكا

المطلب الثالث : في وجوب نصرته، والذود عن جنابه صلى الله عليه وسلم ،

وسبل ذلك :

إن أعاصير الغضب التي أهاجتها حماسة المسلمين في كثير من الأقطار، وأطراف الأمصار؛ دفاعاً عن نبيها صلى الله عليه وسلم ، وإعلاناً عن حبها العام له، وتفضيها لتلك الرسومات الساخرة الظالمة، عبر الصحف الدائمية وسواها، لتشي تلك المشاعر والبشائر بعميق الحب والإجلال، والتقدير والإكبار للرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذل المهج والأرواح في سبيل رد تلك المطاعن، والانتصاف من أولئك العتاة البغاة، أهل الخداع الكبار والاعتساف، الذين طووا

كشَّحَهُمْ عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ مِنَ الْحَقْدِ الْأَسْوَدِ لِلْإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهِ أَشْرَفِ الْأَنَامِ، فَدَاهِ أَبِي
وَأُمِّي وَنَسَبِي وَنَشَبِي، حَيْثُ أَدْلَجَ أَوْلَئِكَ الْأَفَاكُونَ - لَا كَانُوا - فِي دِيَاجِيرِ التَّطَاوُلِ
وَالِاسْتِهْزَاءِ، فَطَوَّحُوا بِالْأُمَّةِ فِي بُحْرَانِ الْأَسَى اللَّاهِبِ، وَالْغَضَبِ النَّاهِبِ، الَّذِي
مَا زَادَهَا بِفَضْلِ اللَّهِ إِلَّا اتِّحَادَ تَمَكِينٍ، وَهَيْبَةَ بَيْنِ الْعَالَمِينَ.

أَيْسَخِرُونَ مِنَ الْأَنْوَارِ قَدْ كَشَفْتَ مَجَاهِلَ الظُّلْمِ فَانزَاحَتْ غَوَاشِيهَا
أَيَهْزِؤُونَ بِهِ، شَلَّتْ أَكْفُهُمْ وَدَمَّرَ اللَّهُ مَا تَجَنَّى وَجَانِيهَا
وَلَكِنْ مَهْمَا كَلَحَتْ الْأَحْقَادُ وَاسْوَدَّتِ الضَّغَائِنُ، فَلَنْ تَرُزَأَ سَطْوَعَ الْجَنَابِ
الْمَحْمَدِيِّ نَقِيرًا، وَلَنْ تَنَالَ مِنَ الْمَقَامِ النَّبَوِيِّ فِتْيَالًا وَلَا قَطْمِيرًا، أَنَّى ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ
الْبَارِي سَبْحَانَهُ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الأحزاب: ٤٥-٤٦) .

نعم! تلك المواقف الصوادق محمود مأجورة، ولكن النصر السامية المرجاة،
التي بها النهضة والنجاة، مما تعانیه أمتنا من تقهقر وضعف واندحار، وثلم عزة
وانتشار، تكمن - بإذن الله - في هذه الركائز العظيمة المقدار.

١ - محبته صلى الله عليه وسلم الحققة التامة، المستقية من قوله صلى الله عليه
وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس
أجمعين)^{٧٢} ، ومحبة آله الأطهار وصحبه الأخيار.

٢ - يلي المحبة التامة، اقتضاؤها : التسليم التام، والإتباع العام فيما أمر به، أو نهي
عنه، قال - تعالى - حكاية عن نبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
(آل عمران: ٣١) ، وقوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ) (الأحزاب: من الآية ٢١).

⁷² متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (١٤) ومسلم برقم (٦٣) واللفظ له.

٣- مقتضى الحب والإتباع، والنصرة والدفاع، نشر سيرته في الفضاءات والأصقاع، وإهداؤها للعالم الضمّي نَفْحَةً بِالرَّحْمَةِ والخير تسري، وومضة بالهدى والحبّ تجري، متوّجة بالتمسك الصادق بسنته، والاقتفاء الصحيح لسيرته، يمهّج للمحبة المحمدية يمتاز بالاعتدال والوسطية في نزوع عن الغلوّ والجفاء، والتقصير الإطراء. ومما يبعث في الغير الأسي والغصص، أن يُقتصر فسطاط السيرة العصماء ورواق السنة الشماء على قبيل السرديات والقصص، في ليال معلومة تُحيا وتُخصّص، عَطِلَةٌ عن مورد برهان ونص، أو أن يُصاب وجه السنة المشرق بالكلف، ومحيّاها الوضيء بيّدع كالنطف، وذلك بما يُقمّشه المموّهون في خريف محبتهم من محدثات الموالد وترانيم القصائد، في اجتماعات تعج بالماكل والموائد، وترهات هي للسنة السنّية مكائد، ولحبي السيرة الغراء عوائق ومكابد، فاللهم اتباعاً لا ابتداعاً وإلى الله نشكو اشتداد الكربة وعظم الغربة للسنة وأهلها.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - :

"بحسب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون العزة والكفاية، والنصرة، كما أن بحسب متابعتة تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله - سبحانه - علق سعادة الدارين بمتابعتة، وجعل شقاوة الدارين في مخالفتة، ولأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار"^{٧٣}، وكل الركائز التي سترد لاحقاً هي مقتضى تينك الركيزتين الأساسيتين.

٤- تخلية العقيدة، عن كل شوائب الشرك والخرافة.

٥- تخلية العبادات والطاعات عن ضروب الإحداثات والمبتدعات.

٦- اعتصام الأمة بالكتاب والسنة، والفتية إليهما في كل النوازل والحوادث.

⁷³ ينظر : "زاد المعاد" (٣٥/١).

٧- التحلي باليقظة والوعي ضد كل ما يتعرض له الإسلام من مطاعن وافتراءات، سواء في القرآن، أو في من أنزل على القرآن صلى الله عليه وسلم .

٨- تربية الأجيال على المحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم ، واستشعار مكانته وجلال سنته في القلوب.

٩- كثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، لأمره تعالى بذلك : قال عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦) .

١٠- استشعار فضله علينا في الدنيا والآخرة، وذلك بأن هدانا الله به إلى أعظم دين وأكمل ملة، وكل ثواب تناله في الدنيا والآخرة فبسبب هدايته ودعوته صلى الله عليه وسلم .

١١- نشر سنته وسيرته، عبر القنوات والشبكات، ووقف الأموال -قلت أو كثرت- في ذلك السبيل والمبتغى.

الخاتمة^{٧٤} :

أهم النتائج والتوصيات.

أهم النتائج :

وبعد مغادرة مضارب هذه التجواله الشيقة، في رياض السيرة الأنف الغناء، نخلص إلى أهم النتائج، ومنها :

١- خيرة خلق الله - سبحانه - من الرسل والأنبياء، ابتلوا بالأعداء الألداء، الذين نالوا من مقامهم بالكذب أو الطعن أو الاستهزاء، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (الأنعام: ١١٢) وقال - عز اسمه - : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (الفرقان: ٣١) .

٢- هَوْلُ المحن والشدائد التي ابتلي بها الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل إبلاغ دعوة ربه.

٣- أهمية الصبر والمصابرة في الدعوة إلى الله.

٤- الرسول الكريم هو ختام المرسلين والرحمة المهداة للعالمين.

٥- الباطل مهما طال وصال، لن يثبت أمام عزائم الرجال.

٦- شتم الرسول والاستهزاء به من العظائم والجرائم، وسُنَّة الله في منتقسه تتعجل أو تتأجل.

٧- الكيد للإسلام والمكر به من قبل الغرب، له تاريخ عريق، وهو من سنن المدافعة في الأرض.

٨- أن العاقبة للمتقين، والنصر للإسلام وأهله، طال الزمان أو قصر، ولكنها سنة الابتلاء والتمحيص.

أهم التوصيات :

- ١- ضرورة التصدي بالردُّ على المطاعن والافتراءات عبر كل القنوات والشبكات والمطبوعات والمؤتمرات ووسائل الإعلام والتقانات.
 - ٢- نشر السيرة النبوية، والتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وخصائصه للعالم، عبر القنوات والشبكات والمسابقات باللغات المختلفة.
 - ٣- نشر الكتب التي تصدَّت لأحكام الاستهزاء بالنبي المختار صلى الله عليه وسلم أو أصحابه الأخيار.
 - ٤- التفاف الأمة حول الكتاب والسنة، خير سبيل للنصر على الأعداء، وئصرة إمام الحنفاء.
 - ٥- السعي الحثيث على أعلى المستويات، للقصاص من المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم .
 - ٦- الاتفاق على موثيق شرف دولية، تدين وتجرم الاعتداء على كتب الله ورسله، وتحسم العودَ إلى مثل هذه السفاهات.
 - ٧- استكتاب المستشرقين المنصفين، لبيان إشراقات الإسلام ونوره ونبيه، لبني جلدتهم.
 - ٨- العمل على إيجاد قناة إعلامية عالمية تخصص للدفاع عن خير البرية وسيد البشرية، ونشر سنته وسيرته في العالمين.
- هذا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله الأطهار، وصحابته الميامين الأخيار، ومن تبعهم بإحسان ما عسعس ليل وأشرق نهار.

فهرس الموضوعات

المقدمة وشملت :

خطة البحث.

أهمية الموضوع وأسباب اختيار البحث.

التمهيد

المبحث الأول : في بعثته ودلائل نبوته وبشارات الأنبياء برسالته صلى الله عليه

وسلم .

المطلب الأول : في بعثته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : بشارات الأنبياء -عليهم السلام- وإنباءهم برسالته صلى الله

عليه وسلم .

المبحث الثاني : في شرفه وفضله ورفعته منزلته وعظيم قدره صلى الله عليه

وسلم .

المطلب الأول : في شرفه صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : في فضله صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : في رفعة منزلته وعظيم قدره صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : في وجوب تعظيمه وتقديره، وتعزيره وتوقيره صلى الله عليه

وسلم .

الفصل الأول : في تعريف الحملات وبيائها، ونيلها من الأنبياء

-عليهم السلام-.

المبحث الأول : تعريف الحملات : لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : الحملات ضد الأنبياء -عليهم السلام- وما نالهم من ابتلاءاتها
وشدائدها.

المبحث الثالث : الحملات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في عصر
النبوة.

المطلب الأول : حملات كفار قريش على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .
العنصر الأول : حملات رشق النبي صلى الله عليه وسلم بباطل الاتهامات،
وتكذيب القرآن الكريم لذلك.

العنصر الثاني : حملات الإيذاء والجفاء، تستمر ولا تَقَرُّ.

العنصر الثالث : قريش والحملات الباردة : التعجيز، المفاوضة، المساومة،
الترغيب، المقاطعة والإبعاد.

(أ) التعجيز .

(ب) المفاوضة .

(ج) المساومة .

(د) الترغيب .

(هـ) المقاطعة والإبعاد، من حملات الكيد والعناد .

المطلب الثاني : حملات المنافقين على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

العنصر الأول : غزوة الأحزاب وسورتها الكريمة يفضحان المنافقين .

العنصر الثاني : غزوة تبوك تفضح ضغائن المنافقين .

العنصر الثالث : المنافقون ومسجد الضُّرار .

المطلب الثالث : حملات اليهود .

العنصر الأول : من افتراء اليهود وكذبهم .

العنصر الثاني : يهود بني قينقاع واستخفافهم بالوعيد النبوي .

العنصر الثالث : يهود بني النضير وتآمرهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم .

العنصر الرابع : من حملات اليهود وغدرهم : الشاة المسمومة.

العنصر الخامس : من رؤوس اليهود الذين تولوا كِبْر حملات الشتم والسب.

الفصل الثاني : نصره رب العالمين - سبحانه - لرسوله الكريم صلى الله عليه

وسلم على الحاملين الشائنين.

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم على نصره رب العالمين لرسوله الكريم

صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة المباركة على نصره رب العالمين لرسوله الكريم

صلى الله عليه وسلم على الحاملين الشائنين.

الفصل الثالث : الحكم من الكتاب والسنة فيمن آذى جناب الرسول صلى

الله عليه وسلم : استهزاءً أو شتماً أو سباً.

المبحث الأول : الحكم وأدلته من الكتاب والسنة.

المطلب الأول : دليل الحكم من الكتاب.

المطلب الثاني : دليل الحكم من السنة.

المطلب الثالث : دليل الحكم من الإجماع.

المبحث الثاني : أقوال الفقهاء والنقول عنهم في هذه القضية.

المطلب الأول : مذهب الحنفية.

المطلب الثاني : مذهب المالكية.

المطلب الثالث : مذهب الشافعية.

المطلب الرابع : مذهب الحنابلة.

المطلب الخامس : الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : ما أشبه الليلة بالبارحة!!!.

المطلب الأول : شهادات الأعداء تنتصف لمقام سيّد الأنبياء.

المطلب الثاني : (لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) (النور: من الآية ١١).

المطلب الثالث : في وجوب نصرته، والذود عن جنابه صلى الله عليه وسلم ،
وسُبل ذلك.

الخاتمة

أهم النتائج.

أهم التوصيات.

فهرسِ الموضوعات.